إمتاع الأسماع في مدح الإتباع وذم الابتداع

د.خالد حسين حمدان (★)

مقدمة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: آية 102). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: آية 1). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70, 71)، أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله, وخير الهدي هدي محمد ﷺ, وشر الأمور محدثاتها, وكل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة, وكل ضلالة في النار.

السنة النبوية سفينة النجاة وبر الأمان، حث النبي ﷺ على التمسك بها وعدم التفريط فيها فعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: " وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

(★) الأستاذ المشارك بقسم العقيدة - كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة.

الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" [1]، وحين يكثر الشر والفساد، وفي مقدمة ذلك تشرذم الأمة وتفرقها، يكون ذلك أبرز دليل على عدم التمسك بالسنة ومما لا شك فيه أن أكثر ما يفتك بالأمم هو اختلاف كلمتها وتفرق جماعتها إلى فرق وجماعات, لكل فرقة منهم طريقة ونحلة تنتحلها وتدافع عنها, وتدعي أنها على الحق, وأن غيرها على ضلال، وأمَّتنا والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه حصل لها مثل هذا التفرق وهذا الاختلاف، وبإمعان النظر فيه وفي أسبابه يتأكد لكل ذي لب أن الابتداع هو السبب الرئيس في وقوع هذا الاختلاف, وهذا التفرق الذي مزق الأمة وأذهب ريحها، ومادام إتباع النبي ﷺ له عظيم الأثر على وحدة الأمَّة وتماسكها، والقول المعاكس لهذا القول صحيح هو الأخر، لما للبدعة من أثر خطير على الأمَّة ووحدتها، كان لا بد لي في هذه الدراسة العقديَّة المختصرة، التي يرجع تأصيلها إلى ركن الإيمان بالأنبياء والمرسلين وفي مقدِّمتهم محمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أن أقف على مفهوم الإتباع بغرض المزيد من الإتباع وعلى مفهوم الابتداع بغرض الابتعاد عنه راجياً الله العليَّ القدير أن ينفعني بها في عاجل أمري وآجله, وأن ينفع كل من يقف عليها, والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

موضوع البحث: يتناول هذا البحث موضوع اً من جزئيتين، الأولى هي إتباع النبي ﷺ وما له من محامد، أبرزها قبول الله ﷻ لأعمال عبده المتبع للنبيِّ ﷺ، وأما الأخرى فهي مقابلة للأولى، وهي الجزئيَّة المسمَّاة بالابتداع وما عليه من مذمَّات، أبرزها عدم قبول الله ﷻ لأعمال أولئك المبتدعين، بل وجعلها هباءً منثوراً، ليس إلا لتنكب أصحابها عن صراط الله المستقيم من خلال مخالفة النبيﷺ.

أهمية موضوع البحث: تكمن أهميَّة موضوع البحث في التالي:

1- أمر الله تعالى عباده بالإتباع، ونهاهم عن الابتداع، وجعله سبحانه ذلك من أبرز الأسباب الجالبة لمحبَّة الله تعالى للشخص المتبع للنبيِّ ﷺ، وكذلك أمر النبيُّ ﷺ أمَّته بالإتباع ووصفه للابتداع والبدعة بأنَّها شر الأمور.

(1) محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، توفي:(297هـ)، سنن الترمذي/ تحقيق وتعليق, إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ- 1975م، 5/ 44 كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنَّة حديث رقم: 2676، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

2- متابعة النبيِّ ﷺ والالتزام بها، هو من لوازم الشهادة للنبيِّ ﷺ بأنَّه بلَّغ الرسالة.

3- دور الإتباع في حال الالتزام به في رد الأمَّة إلى دينها، ومن ثم عودتها إلى السيادة والريادة التي كانت عليها وفي الوقت نفسه خطر الابتداع وما يمثله من دور في تشتيت الأمة ومن ثم إضعافها، وجعلها في ذيل القافلة.

أسباب اختيار موضوع البحث: بالإضافة إلى ما للموضوع من أهميَّة فإنَّ أسباب اختياره ترجع إلى التالي:

1-معرفة الابتداع وأسبابه هي أولى خطوات القضاء عليه وعلى ما ينتج عنه من آثار.

2-كل بدعة في دين الله ﷻ ولو بقصد حسن، تعتبر طعناً في دين الله تعالى.

منهج البحث: سلك الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي [1]، حيث إنَّه أنسب المناهج لمثل هذه البحوث وعلى الله قصد السبيل.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى إبراز البعد العقدي لموضوع هذا البحث، لما للعقيدة من أهميَّة بالغة في حياة الناس، ولما لها من آثار عميقة على الفرد والمجتمع، ومن ثم يتعامل الناس مع موضوع الإتباع والابتداع باهتمام بالغ، الأمر الذي سيسهم في زيادة مساحة الإتباع، وتقليص مساحة البدعة والابتداع.

الدراسات السابقة: كثيرة هي الدراسات والأبحاث، وأوراق العمل، التي صنِّفت في موضوع البحث، بيد أنَّ النادر منها تناول الموضوع ذاته بالحيوية التي تناولها الباحث في بحثه هذا، ذلك أن الكثير من تلك الدراسات ركزت في طرحها للموضوع على الجوانب الفقهيَّة، في حين ركز الباحث هنا على الجانب الأصيل ألا وهو الجانب العقدي، من أجل الإسهام في ردِّ المسلمين إلى الجادَّة وإلى الصواب ليبقيهم ذلك على عهدهم مع ربهم جلَّ في علاه. ومن أبرز تلك الدراسات:

1-حقيقة السنة والبدعة أو الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع، تأليف: جلال

(1) المنهج الوصفي التحليلي هو: "هو وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمَّة بطريقة موضوعيَّة وصحيحة" أحمد الخطيب دليل البحث والتقويم التربوي، ط. 1985م، ص 62.

الدين السيوطي تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، تاريخ النشر: 1409ه، نشر دار الرشيد، تحدث هذا الكتاب عن السنة والبدعة، ثم عرض لأقسام البدع المحدثة، من منظور فقهي كالوسوسة في الوضوء، البدع في الخطبة، وقفة عرفات وبقاعها بدعة قراءة سورة الأنعام في ركعة صلاة التراويح، إلخ من البدع المحدثات.

2-إمتاع الأسماع بفضل الإتباع، وذم الابتداع، وهو فصل من كتاب زهر البساتين في مواقف العلماء الربانيين جمع وإعداد الدكتور سيد بن حسين العفاني، الطبعة الأولى:1427ه - 2006م، نشر دار العفاني بالقاهرة.

3-الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع، وهو كتيب صغير الحجم، ألَّفه الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، وتم نشره عام: 1410 هـ، بيَّن فيه مؤلفه رحمه الله تعالى، أنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن الدين كلَّه سواء أكان ذلك بقوله أم بفعله، وهي جزئيَّة صغيرة من جزئيات هذا البحث.

4-قواعد وأسس في السنة والبدعة ، الدكتور حسام الدين عفان ة، ذكر فيه مؤلفه تقسيمات السنة والبدعة وحكم الابتداع وأسبابه وأسباب انتشار البدع ، ثم فصّل الكلام على أهم البدع المنتشرة في بلاد الشام، كبدع الأذان والصلاة والدعاء والاحتفالات والمواسم المبتدعة وخص البدع المتعلقة بالمسجد الأقصى بشيء من التفصيل.

خطَّة البحث: جاء هذا البحث في مقدمة, وتمهيد, وفصلين, وخاتمة على النحو التالي:

أولاً المقدمة: وقد اشتملت على موضوع البحث، وأهمية موضوع البحث وأسباب اختياره, ومنهج البحث وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والخاتمة، وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها.

ثانيا: التمهيد: وقد اشتمل على شروط قبول العمل، وهما شرطان اثنان، الأول منهما يتمثل في الإخلاص لله رب العالمين، وأمَّا الآخر فقد تمثل في موافقة العمل للكتاب والسنَّة.

الفصل الأوَّل: مدح الإتباع

المبحث الأول: حكم الإتباع ومنزلته.

المطلب الأول: حكم الإتباع.

المطلب الثاني: منزلة الإتباع.

المبحث الثاني: مظاهر الإتباع والوسائل المعينة عليه.

المطلب الأول: مظاهر الإتباع.

المطلب الثاني: الوسائل المعينة على الإتباع.

الفصل الثاني: ذمُّ الابتداع.

المبحث الأول: حكم الابتداع وأسبابه.

المطلب الأول: حكم الابتداع واختلاف العلماء فيه.

المطلب الثاني: أسباب الابتداع.

المبحث الثاني: أقسام الابتداع.

المطلب الأول: البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية.

المطلب الثاني: البدع المتعلقة بالفعل والبدع المتعلقة بالترك.

المطلب الثالث: البدع المتعلقة بالعقائد والأحكام.

المطلب الرابع: البدع المفسقة والمكفرة.

تمهيد:

خلق الله ﷻ الإنسان لغاية سامية جعلها سبحانه تصب في مصلحة هذا الإنسان فحسب، بالرغم من أن الله ﷻ غنيٌّ عن العباد، والعباد هم الفقراء إلى الله ﷻ ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عن ربِّ العزة ﷻ أَنَّهُ قَالَ:" يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ

قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ..."[1]، تلكم الغاية هي غاية العبادة لله ﷻ وحده، ولقد عرفها شيخ الإسلام رحمه الله فقال: هي :"اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله تعالى ويرضاه, من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة" [2] قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات، آية: 56)، والعبادة تشمل أعمال القلب واللسان, والجوارح, قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(الأنعام: 163).

إنَّ تضرع العباد لله سبحانه وإعلان عبوديتهم له إنما يصلحهم هم، ويصلح حياتهم ومعاشهم كذلك. فمتى أعلن الناس عبوديتهم لله سبحانه تحرروا من العبودية لسواه. تحرروا من عبوديَّة الشيطان الذي يريد أن يغويهم، وتحرروا من شهواتهم وأهوائهم، ومن العبودية للعبيد من أمثالهم، بيد أنَّ لهذه العبادة شروطاً لكي تكون مقبولة عند الله ﷻ، هذه الشروط, ممثلة في شرطين اثنين، دلت عليها نصوص الكتاب الكريم والسُنَّة المطهرة, وبينت النصوص أنه إذا فُقِدَ منها شرط بطلت وبطل العمل بها, بل وأصبحت هباءً منثوراً, قال تعالى:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان: 23).

شروط قبول العمل : لا بد لقبول العمل من شرطين اثنين:

الشرط الأول: الإخلاص: وهو أن تكون جميع حركات الإنسان وسكناته وقيامه وقعوده وتقلّباته وأفعاله وأقواله لله تعالى [3]، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾, (الزمر: 2)، وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ

(1) مسلم بن الحجاج توفي:-(261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، طبعة: 1403هـ – 1983م، ج: 4/1994م، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: 2577.

(2) أحمدبن تيمية، العبودية، توفي:(728هـ)، نشر، قصي محب الدين الخطيب، الطبعة المطبعة السلفية- القاهرة الثالثة، 1398هـ، ص: 4.

(3) انظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى، 1996م، ج:1/ 122.

﴿ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر: 65)، فهذا بيان من الله تعالى بوجوب إخلاص العمل له سبحانه, وأنه إذا لم يكن خالصاً لله تعالى كان باطلاً مردوداً فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "قَالَ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ[1].

الشرط الثاني: الموافقة للكتاب والسنَّة: وهو أن يكون العمل موافقاً لما جاء في كتاب الله الكريم، و موافقاً كذلك لهدي النبي ﷺ, لأنه إن لم يكن كذلك كان من البدع المحدثة, يدل على هذا الشرط قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾, (آل عمران: 31), وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: 153), ويدل عليه قول النبي ﷺ:" عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ[2].

هذه النصوص وغيرها من النصوص الكثيرة تدل دلالة واضحة على أن العبادة لا بد أن تكون موافقة للكتاب والسنَّة, فإن لم تكن كذلك, فستكون من البدع المحدثة المردودة، هذا ويجتمع شرطا قبول العمل في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾, (هود: 7), قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾"أيْ لِيَخْتَبِرَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَمْ يَقِلْ أَكْثَرُ عَمَلًا، بَلْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَا يَكُونُ الْعَمَلُ حَسَنًا حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ ﷻ وعَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ

(1) مسلم بن الحجاج، ج: 2285/4 كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم: 2985.

(2) أبو داوود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: 275هـ، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 1430هـ- 2009 م، ج: 7/ 17، كتاب السنَّة، باب في لزوم السنَّة حديث رقم: 4607، قال المحقق: حديث صحيح.

ﷺ فَمَتَى فَقَدَ الْعَمَلُ واحداً من هذين الشرطين بطل وحبط" [1]، وروي عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال في تفسيرها :" أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا ولَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ" [2]، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الَّذِي قَالَهُ الْفُضَيْلُ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: 110، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، أن هذين الشرطين أصلان لدين الإسلام[3].

(1) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: 774هـ، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة – الجيزة، الطبعة الأولى: 1421هـ- 2000م، ج: 7/ 418.

(2) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: 430هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة 1399هـ- 1979م، ج: 8/ 95.

(3) انظر: أحمد بن تيمية الحراني، مجموعة الفتاوى، اعتنى بها وخرَّج أحاديثها/ عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء. 1/ 140.

الفصل الأوَّل
مدح الإتباع

قضيَّة الإتباع لرسول الله ﷺ هي أكبر قضايا هذا الدين بلا شك، إذ هي مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ذلك أنَّ الله ﷻ فرّق بمحمد ﷺ بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، فهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة وصاحب المقام المحمود والمبعوث إلى الناس كافَّة ، إضافة إلى أنَّ الإتباع للرسول ﷺ دليل حبه؛ كما أن ثمرته غفران الذنوب، وفي إتباعه ﷺ فلاح العبد ونجاحه؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ (الأنفال: 24). تضمنت هَذِه الْآيَة أموراً أَحدهَا أَن الْحَيَاة النافعة إِنَّمَا تحصل بالاستجابة لله ﷻ وَرَسُوله ﷺ، فَمن لم تحصل منه هَذِه الاستجابة فإنَّ حَيَاته ليست إلا بهيمية مُشْتَركَة بَينه وَبَين أرذل الْحَيَوَانَات، فالحياة الْحَقِيقِيَّة الطّيبَة؛ كما قال ابن القيم رحمه الله: "هِيَ حَيَاة من اسْتَجَابَ لله وَالرَّسُول ظَاهرا وَبَاطنا فَهَؤُلَاءِ هم الْأَحْيَاء وَإِن مَاتُوا وَغَيرهم أموات وَإِن كَانُوا أَحيَاء الْأَبدَان وَلِهَذَا كَانَ أكمل النَّاس حَيَاة أكملهم استجابة لدَعْوَة الرَّسُول ﷺ"[1]

أبرز صفات المستجيبين لله ﷻ، ورسوله ﷺ: يمكن استنباط أبرز صفات المستجيبين لله ﷻ، ورسوله ﷺ من قول الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (الأعراف: 157) وفيما يلي تلخيصها:

أولاً: الإيمان بالنبيّ ﷺ: المقصود بهذا الإيمان : أن يؤمن بأن الرسول ﷺ بلغ عن ربه ﷻ ديناً كاملاً لا يحتاج إلى تعقيبات أو استدراكات، قال تعالى: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (المائدة: 3).

(1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيّم الجوزيَّة، الفوائد، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان- دمشق، ص: 166.

ثانياً: تعظيم النبيّ وتوقير ﷺ : تعظيم الرسول ﷺ من أعظم شعب الإيمان، إذ لا سبيل إلى معرفة قدر الدين وأهميته في الحياة لمن لا يعرف قدر النبي ﷺ ومنزلته من الله سبحانه، فهو ﷺ أحب العباد إلى الله سبحانه وأقربهم منه منزلة، فكيف إذاً يؤمن بالله العلي العظيم من لا يجد في قلبه أبلغ معاني التوقير والتعظيم للرسول ﷺ، ولا شك أن من ينصرف عن متابعة الرسول ﷺ إلى متابعة غيره لم يعرف حقيقة الرسول ﷺ، ولم يوقره، ولم يقدره قدره.

ثالثاً: نصرة النبيّ ﷺ: نصرة الرسول ﷺ من أوثق عرى الإيمان إذ بنصرته ﷺ يقوم الدين وترفع رايته وبها يحق الحق ويبطل الباطل، ويقوم الناس بالقسط، وإن التخلي عن نصرة الرسول ﷺ صورة من صور النفاق، ودليل على عدم رسوخ الإيمان في القلب قال سبحانه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ ﴾ (التوبة: 49) من هنا فإنَّ التخاذل عن نصرة الرسول ﷺ لا يصدر ممن آمن بالله سبحانه وأحب دينه، وعرف قدر رسوله ﷺ. هذا ويكون الإتباع للنبي ﷺ في التالي:

أ- في الاعتقادات: وهو أن يعتقد المتَّبع ما اعتقده النبي ﷺ، ويشمل الاعتقاد هنا: قول القلب وهو التصديق وعمل القلب وهو الإخلاص والمحبة والتوكل والخوف والرجاء.

ب- **في الأقوال والأفعال:** وهو أن يمتثل المتَّبع مدلولها، وما جاءت به من معانٍ، لا أن تكرر ألفاظها وتردد نصوصها فحسب، كقوله ﷺ: " وصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"[1] فهي لَفْظَةُ أَمْرٍ تَشْتَمِلُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ كَانَ يفعله النبيُّ ﷺ فِي صَلَاتِهِ.

ت - **في الترك:** وهو أن يترك المتَّبع ما ترك النبيُّ ﷺ، على الصفة والوجه الذي ترك[2]، وقبل الولوج في مباحث هذا الفصل نود التعريج على معنى الإتباع في اللغة والاصطلاح.

---

(1) الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، توفي: 739هـ، صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية، 1414هـ- 1993م، ج: 4/ 541، هامش رقم: 2 كتاب الصلاة باب الأذان، قال شعيب: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(2) انظر: أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث بجوار الأزهر، 1/ 246.

الإتباع في اللغة: تَبِعَ الشيءَ تَبَعاً وتَباعاً فِي الأَفعال وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً: سِرْت فِي إِثْرِه وتَبِعْت الْقَوْمَ تَبَعاً وتَباعةً بِالْفَتْحِ، إذا مَشَيْتَ خَلْفَهُمْ أَو مَرُّوا بِكَ فمضَيْتَ مَعَهُمْ،، يُقَال: مَا زلت أَتْبَعهم حَتَّى اتَّبَعْتهم.[1]، والكلمة تدور حول معاني اللحاق بالأول[2]، والتطلب والاقتفاء والاقتداء والتأسي.[3]

الإتباع في الاصطلاح: الإتباع: هو العمل بكلام الغير والاقتداء به،وهو هنا[4]: الاقتداء بالرسول ﷺ واقتفاء آثاره والتأسي بها [5] في كل ما جاء به من أوامر ونواهٍ في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة لقوله ﷺ : ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه[6]، أقول: هذا المِثْلُ هو: السنةُ الشريفة بشُعَبِها جميعاً: القول والفِعل والتقرير، قال عطاء: طَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ إتباع الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ [7] أقول: مع توفر القصد والإرادة في ذلك.

المبحث الأول

(1) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، توفي: 711هـ، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي دار المعارف – القاهرة، مادة تبع، ج:1/ 416.

(2) انظر: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي توفي: 1031هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م، ص: 37.

(3) انظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، توفي: 430هـ، المكتبة العصريَّة – بيروت، الطبعة الثانية 1420هـ-2000م، ص: 420.

(4) محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، الطبعة: الثانية، 1408هـ، ص: 40.

(5) انظر: عبد الرؤوف محمد عثمان، محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– الرياض ، الطبعة: الأولى، 1414هـ، ص: 102.

(6) أبو داوود، 13/7، أول كتاب السنة، باب في لزوم السُّنَّة، حديث رقم: 4604، قال المحقق: إسناده صحيح.

(7) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، توفي: 255هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 2000 م، ج: 1/ 297.

حكم الإتباع ومنزلته

تضافرت نصوص الكتاب الكريم والسنَّة المطهرة وأقوال سلف الأمة، على وجوب الاعتصام بكتاب الله الكريم، وبالسنة المطهَّرة, وترك الابتداع في الدين وذمه ومحاربته، باعتبار الاعتصام بهما هو طريق الفوز برضوان الله تعالى والنجاة من عذابه, وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ الْقُرْآنِ وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَقَرَنَ بَيْنَ مُخَالَفَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ كَمَا قَرَنَ بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِهِ فَلَا يُذْكَرُ اللهُ إلَّا ذُكِرَ مَعَهُ[1]، ومن هذه المواضع ما سنبيِّنُه في المطالب التالية:

المطلب الأول: حكم الإتباع

أولاً- الأدلَّة من القرآن الكريم:

1- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، (آل عمران: 31) قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ "[2]

2-وقال تعالى :﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾, (آل عمران: 103), قال الكرماني:" الْمُرَادَ بِالْحَبْلِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ وَالْجَامِعُ كَوْنُهُمَا سَبَبًا لِلْمَقْصُودِ وَهُوَ الثَّوَابُ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ كَمَا أَنَّ الْحَبْلَ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ بِهِ مِنَ السَّقْيِ وَغَيْرِهِ"[3].

3-وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (المائدة: 92). دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الكريمة على تَحْرِيمِ مُخَالَفَةِ اللَّهِ

---

(1) انظر: المستشرق جول لابوم، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت، ص: 430.

(2) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، ج: 3/ 46.

(3) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توفي: 852هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري دار المعرفة بيروت، 13/ 245 كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ﷻ ومخالفةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَقَدْ فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاغِ الَّذِي فِيهِ رَشَادُكُمْ وَصَلَاحُكُمْ، وَلَمْ تَضُرُّوا بِالْمُخَالَفَةِ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ، وَفِي هَذَا مِنَ الزَّجْرِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ وَلَا يُبْلَغُ مَدَاهُ[1].

4- وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:7) وهذا شامل للدين أصولاً وفروعاً، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يجب على العباد أن يأخذوا به ويتبعوه، ولا تحل لهم مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله ﷺ[2]، ثم حذَّرهم من مخالفة أمره[3] ﷺ، فقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: 63)، وقال عزَّ من قائل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: 65.)

ثانياً- الأدلَّة من السنَّة المطهرة:

حوت السنَّة النبويَّة هي الأخرى كمَّاً كبيراً من أوامر النبي ﷺ ونواهيه في هذا الصدد والتي تدلُّ على وجوب إتباع النبي ﷺ وطاعته فيما أمر واجتناب ما قد نهى عنه، ومنها:

1- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ

(1) انظر: محمد بن علي الشوكاني، ت: 1250هـ، فتح القدير، الطبعة الأولى1414هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ج: 2/85.

(2) انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مجلَّة البيان، ص1003.

(3) انظر: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيُّ البغدادي توفي: 360ه،ـ الشريعة، تحقيق: الدكتور عبد الله الدميجي، دار الوطن – الرياض، الطبعة الثانية، 1420 هـ - 1999 م، ج: 1/ 411.

عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" [1]. وعنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[2].

2- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَ خَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ..."[3]

3- عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ ﷺ, أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "... وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ , فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ إِثْمِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ , لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِ النَّاسِ شَيْئًا"[4].

ثالثاً- الأدلَّة من أقوال سلف الأمَّة:

الآثار الواردة عن السلف الصالح التي تأمر بالإتباع وتنهى عن الابتداع، كثيرة جداً، منها:

1 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: "الِاقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي بِدْعَةٍ"[5].

2 -وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال :" اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"[6].

---

(1) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، توفي: 256ه، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفيَّة – القاهرة الطبعة الأولى 1400ه، 2/ 267، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود حديث رقم: 2697.

(2) مسلم بن الحجاج ، 3/ 1343، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة...، حديث رقم: 1718.

(3) المصدر السابق، 2/ 592، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: 43.

(4) محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 45/5، أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ ... حديث رقم: 2677، قال أبو عيسى: حديث حسن، وأبو محمد الحسين بن مسعود البغوي توفي:(516هـ)، شرح السنة/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، ج:1/ 233، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي توفي:(463هـ)، الكفاية في علم الرواية، جمعيَّة دار المعارف العثمانيّة- حيدر أباد الدكن، طبعة: 1357ه، ص: 343.

(5) أبو عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِي توفي: (294هـ)، السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى: 1422ه- 2001م، ص: 99، قال المَرْوَزِي: صحيح، رجاله ثقات.

(6) أبو بكر البيهقي توفي: (458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى 1423هـ- 2003م، ج: 3/ 506، الأثر رقم 2024، والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (توفي: 708ه)، بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد/ تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، ج:1/434، باب الاقتداء بالسلف، الأثر رقم: 853.

3 قال ابن عمر رحمه الله: "ثلاث أحب لنفسي ولإخواني: هذه السُّنَّة أن يتعلموها ويسألوا عنها والقرآن أن يتفقهوه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلى الخير"[1].

4 - لمَّا بايع الناس عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله تعالى، صعد المنبر، فحمد الله ﷻ وأثنى عليه، ثم قال:" أيها النَّاس ... ألا وإنّي لست بمبتدع، ولكنّي متبع..."[2]، ومن كلامه الذي عني به وبحفظه العلماء، وكان يعجب مالكاً جدّاً، قوله: "سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، أَخَذْنَا بِهَا تَصْدِيقًا بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَاسْتِكْمَالًا لِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّةً عَلَى دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، مَنْ عَمِلَ بِهَا مَهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، ووَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَصَلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" [3]، وبِحَقٍّ كَانَ هذا الكلام يُعْجِبُهُمْ، فَإِنَّهُ كَلَامٌ مُخْتَصَرٌ جَمَعَ أُصُولًا حَسَنَةً مِنَ السُّنَّةِ، مِنْهَا مَا نَحْنُ فِيهِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: "لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا، وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا"، قَطْعٌ لِمَادَّةِ الِابْتِدَاعِ جُمْلَةً، وَقَوْلُهُ: "مَنْ عَمِلَ بِهَا مُهْتَدٍ..."، مَدْحٌ لِمُتَّبِعِ السُّنَّةِ، وَذَمٌّ لِمَنْ خَالَفَهَا [4]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء: 115).

5 لأنكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على الذين يتبعون ما يقع في قلوبهم من غير اعتبار بالكتاب والسنَّة موضحاً أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِمْ الِاعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَعْصُومٌ يَسُوغُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ اتِّبَاعُ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ﷻ مَنْ خَالَفَ

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي توفي:(911هـ)، حقيقة السنة والبدعة، تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد. طبعة 1409هـ، ص: 86.

(2) أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، توفي: (790هـ)، الاعْتِصَام، ضبط نصَّه وقدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، ص:144

(3) أبو عمر يوسف بن عبد البر، توفي: (463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى، 1414هـ- 1994م، ج: 2/ 1176، باب الحض على لزوم السنة، الأثر رقم: 2326.

(4) انظر: أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ص:144، 145.

فِي هَذَا فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان.[1]

6 قَالَ الإمام مالك رحمه الله تعالى: "من ابتدع فِي الْإِسْلَام بِدعَة يَرَاهَا حَسَنَة فقد زعم أَن مُحَمَّدًا ﷺ خَان الرسَالَة لِأَن الله تعالى يَقُول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (المائدة: 3) فَمَا لم يكن يَوْمئِذٍ دينا لَا يكون الْيَوْم دينا[2].

بعد هذه الآثارَ والْأَخْبَار التي استقيناها من الكتاب وَالسّنة وأقوال السلف، فإنَّ المتبصر فيها والمتدبر يدرك الإدراك كلَّه أن كل بِدعَة فِي الدّين هِيَ ضَلَالَة، وصَاحبُهَا مؤاخذ معاقب عَلَيْهَا فِي النَّار وبدعته مَرْدُودَة عَلَيْهِ غير مَقْبُولَة مِنْهُ.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: 27).

المطلب الثاني: منزلة الإتباع

للإتباع منزلة عظيمة في دين الله ﷻ، ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

أولاً- أنه من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً ﷺ رسول الله:

لا ريب أن هذه لوازم عظيمةً، عليها مدار الدين كلِّه، فمن آمن بوجود الله ﷻ أولاً، ثم آمن بربوبيَّته على خلقه وبألوهيَّته، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وبأسمائه وصفاته، وأنَّ له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، فاستسلم لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، واستقام على طاعة الله تعالى ومات على ذلك، كان من السعداء المفلحين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فعلينا أن نتبع الكتاب وعلينا أن نتبع الرسول، وإتباع أحدهما هو إتباع الآخر، فإن الرسول بلَّغ الكتاب، والكتاب أمر بطاعة الرسول، ولا يختلف الكتاب والرسول ألبتَّة"[3]

ثانياً- كونه الميزان الذي يوزن به المؤمن عند ربَّه ﷻ

إنَّ منزلة المؤمن عند ربّه ﷻ إنَّما تقاس بإتباعه للرسول ﷺ, فكلما كان

(1) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، 93/11، وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان تحقيق: عبد الرحمن اليحيى، دار الفضيلة، ص: 78، 79.

(2) محمد بن أحمد الحوامدي، ص: 6.

(3) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، 19/ 47.

المؤمن للرسول ﷺ أتبع كان بإذن الله عند الله ﷻ أعلى وأكرم، فإذا كان كذلك، فإنَّ هذه المنزلة بعد رحمة الله ﷻ، وقبوله للمؤمن، يترتب عليها محبَّة الله ﷻ للمؤمن وكذلك محبَّة رسوله ﷺ، ولا سبيل لتحصيل هذه المحبة وتحقيقها إلا عن طريق متابعة النبيِّ ﷺ لأن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : 31) حيث علَّق سبحانه محبته للعباد وغفرانه لذنوبهم بإتباع النبي ﷺ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ" [(1)]، هذا ولن يتقبل الله ﷻ من عبد تقرُّباً إلا عن طريق متابعة النبيِّ ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف: 156، 157)، فقد جعل رحمته سبحانه لأهل الإتباع لا لغيرهم، الذين يصلُّون كما كان يصلي الرسول ﷺ ويزكُّون كما كان يزكي ويذكرون كما كان يذكر ، وإلا لماذا قال ﷺ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"[(2)]، ولماذا قال ﷺ: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ" [(3)]، يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى متحدثاً عن درجات المحبَّة " وَتَثْبُتُ بِإِتباع السُّنَّةِ " أَيْ ثَبَاتُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَعْمَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ فَبِحَسَبِ هَذَا الإتباع يَكُونُ مَنْشَأُ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَثَبَاتَهَا وَقُوَّتَهَا"[(4)]، كما يترتب على المتابعة للنبيِّ ﷺ، دخول الجنة،

(1) البخاري الجامع الصحيح ، 4/ 401، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، حديث رقم: 7485.
(2) سبق تخريجه (ص: 10، هامش رقم:1)
(3) مسلم بن الحجاج / كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة...،ج: 943/2، حديث رقم:1297.
(4) محمد بن أبي بكر...ابن قيم الجوزية، توفي: (751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ- 1996م ج: 3/ 31.

وذلك قوله ﷺ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"[1].

ثالثاً- الإتباع يحصّن الإنسان من الشيطان ويرغم أنفه:

يحرص الشيطان الحرص كلّه على الحيلولة بين الإنسان والحسنة سواء أكان ذلك على صعيد الهمّ، أم على صعيد العمل، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: "إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي..."[2]، وكلما كان العمل أحب إلى الله تعالى وأنفع للعبد كان تفلُّت الشيطان عليه أكثر، فعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ، ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ " قَالَ: " فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ " قَالَ: " فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ " قَالَ: " ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ، وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ " قَالَ: " فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ " [3]

من هنا فإنَّ العبد ينبغي أن يأنف أن يكون تحت قهر عدوه الشيطان؛ فإنَّه إن رأى منه ضعف عزيمة وهمة، عن متابعة النبيّ ﷺ طمع فيه، وساقه حيث أراد، ومتى أحس منه متابعة النبي ﷺ بقوة عزم وشرف نفس وعلو همة، لم يطمع فيه إلاّ اختلاساً وسرقة، إذاً لا يرغم الإنسان أنف الشيطان إلا بإتباع النبي ﷺ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:"إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ

(1) البخاري، 4/ 359، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حديث: 7280.
(2) المصدر السابق، 2/ 483، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ" حديث رقم: 3423.
(3) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني توفي: 241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، قال شعيب: إسناده قوي، مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م، ج: 315/25.

بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّار"[1]

رابعاً- يجبر النقص الحاصل في الفرائض بإذن الله تعالى

من رحمة الله بعباده، أن شرع لهم جبر النقص والخلل الذي يدخل عليهم في عباداتهم، ولا يستطيعون التحرز منه على الوجه التام، إما بنوافل العبادات، أو الاستغفار، أو نحو ذلك ومتابعة الرسول ﷺ هي تعويض لما عساه أن يحدث في أداء الفرائض من نقص ومن قصور فمن ذا الذي يستطيع أن يزعم لنفسه أنه يصلي الفرض صلاة تامة كاملة بخشوعها وبآدابها كلها؟ فإذا حوسب الإنسان يوم القيامة -وأول ما يحاسب عليه الصلاة- نظر في صلاته فإذا كان قد أدى الفرائض أداء تاما فيها، وإلا بحث عن السنن والنوافل فهناك يستكمل هذا النقص من النوافل، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ،"[2]، فمتابعة النبي ﷺ إذاً عملية جبر وتعويض، لما يحدث في الفرائض من نقص أو خلل، أو تقصير.

المبحث الثاني

مظاهر الإتباع والوسائل المعينة عليه

لمَّا كان إتباع النبيّ ﷺ أمراً يمكن أن تستتر وراءه الدعاوى والمزاعم، ويقع فيه الاشتباه؛ كان لا بد من التمييز بين الصادق فيه وبين الدَّعِي الكاذب، وقد جرت العادة أن الدعاوى لا تقبل إلا ببينات، وإلا لاختل ميزان الحق والعدل. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "لو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخليُّ حرقة الشجيّ [3]"[1]، لذلك أردنا من خلال مطالب هذا المبحث أن نمايز بين

(1) مسلم بن الحجاج/ 87، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى...حديث رقم: 133.

(2) محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 269/2، أَبْوَابُ الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلَاةُ، حديث رقم: 413، قال أبو عيسى: حديث حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ.

(3) انظر: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، توفي: 487هـ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، 1971م مؤسسة الرسالة- بيروت ، ص:395.

الشجيّ فيها وبين الخليّ.

المطلب الأول: مظاهر الإتباع

أولاً- تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والأدب معه، وكذلك تعظيم النصوص الشرعيَّة

إنَّ كمال الأدب، وتمام التوقير للنبيّ ﷺ هو من أعظم مظاهر إتباعه، ومن آكد حقوقه ﷺ على أمته وتعظيم النبي ﷺ إنَّما يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فالتعظيم بالقلب هو: ما يستلزم اعتقاد كونه رسولاً اصطفاه الله برسالته، وخصه بنبوته، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وفضله على سائر الخلق أجمعين أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه، أو أثنى به عليه ربه ﷻ من غير غلو ولا تقصير، وأما التعظيم بالجوارح فيشمل العمل بطاعته، وتجديد متابعته، وموافقته في حب ما يحبه، وبغض ما يبغضه، والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه، وصون حرمته، أمَّا تعظيم النصوص الشرعية فيكون ذلك بتقديرها وإجلالها ، وتقديمها وعدم هجرها،واعتقاد أن الهدى فيها لا في غيرها، وتعلمها وفهمها وتدبرها والعمل بها والتحاكم إليها وعدم معارضتها وقد كان هذا هو هدي أئمة الإتباع وسادته من الصحابة، والتابعين وتابعيهم. عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا" قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: "وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ"، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ:" أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ"[2].

ثانياً- تحكيم الكتاب الكريم والسنة المطهرة، والرضا بحكمهما في قضايا الدِّين كلِّه.

إنَّ الاحتكام لكتاب الله الكريم وسنَّة النبيّ ﷺ المطهرة، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ (النساء: 59)، لَهُو السمة

(1) محمد بن أبي بكر...ابن قيم الجوزية مدارج السالكين، 3/ 10، والخلي: هو الذي ينام ولا يحب، لا يوجد عنده هيام ولا عشق، والشجي هو المولع الذي يعيش الوله والهيام، كأن في حلقه شجى من الهموم.

(2) مسلم بن الحجاج 1/ 327، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ... حديث رقم: 135

البارزة والعلامة الفارقة بين المسلم الحريص على الإتباع للحق، وبين من يتبع هواه بغير هدى من الله تعالى، فَيَضِلُّ ويُضِلّ، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته, وإلا لم يكن صادقاً في إتباعه ويكون مدعياً، وليس الأمر يقف عند هذا الحد، بل يتعدَّاه إلى الرضا بحكم الكتاب الكريم والسنَّة المطهرة، ومن بعد الرضا التسليم، ذلك أنَّ الله ﷻ ما أرسل رسولاً إلا ليطاع بإِذْنِ اللَّهِ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (النساء: 64) ، فَمنْ صَدَّ عن النبيّ ﷺ أو خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهْ، أَوْ رَغِبَ عَنْ حُكْمِهِ كَانَ خَارِجًا عَنْه، غير متبع لسنته، مُرْتَكِبًا فِي ذَلِكَ أَكْبَرَ الْآثَامِ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (النساء: 65)، وعَنِ الْعَبَّاسِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:" ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا" [1]، والرضا كلمة ذات مدلول يجمع القبول والانقياد؛ فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد الكامل ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول ﷺ من ربه فإذا رضي المسلم بمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً : لم يلتفت إلى غير هديه ولم يسلك إلا ما يوافق شريعته، وحَكّمَه وحاكم إليه، وقبل حكمه، وانقاد له وتابعه واتّبَعَه ورضي بكل ما جاء به من عند ربه ﷻ، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره، كان بذلك من أوَّل المتابعين للنبيّ ﷺ، فيفرح بفضل ربه عليه ورحمته له بذلك؛ حيث جعله من أتباع خير المرسلين ﷺ وحزبه المفلحين؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ يونس: (57-58)

ثالثاً ـ تقديم محبة النبيّ ﷺ على محبة النفس والوالد والولد والناس

(1) مسلم بن الحجاج، 1/ 62، كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ الدليل مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا...، حديث رقم: 56

أجمعين:

إن الحبيب المصطفى ﷺ هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة التي امتن الله تعالى بها على عباده، فكشف سبحانه به عن الناس الغمة، وأزاح به الظلمة، وأبان به الحق، فلم يبق للناس على الله بعده حجة، من هنا فإنَّ حبَّ رسول الله ﷺ فريضة، وتوقيره وإجلاله وتعزيره فريضة وهذا من تمام الإيمان، قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح: 9)، هذا ولا يكتمل إيمان عبد إلا إذا قدَّم حبَّ رسول الله ﷺ على نفسه ووالده وولده والنَّاس أجمعين، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّﷺ، قَالَ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[1]، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ" فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الآنَ يَا عُمَرُ" [2]، أي: الآن كمل إيمانك. هذا الحب في حقيقة أمره من أبرز مظاهر اتباع النبيّ ﷺ، بدليل أنَّ الذي يحبُّ رسول الله ﷺ هذا الحب يحشر معه، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟" قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: "فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ"[3] ونحن من بعد أنس ﷺ نقول ما قال: إنَّا نحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فنرجو الله ﷻ أن نكون معهم وإن لم نعمل بأعمالهم.

رابعاً- الخوف من الزيغ والاستدراج:

(1) أبو عبد الله البخاري الجامع الصحيح، 1/ 22، كتاب الإيمان، باب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ حديث رقم: 15.

(2) أبو عبد الله البخاري الجامع الصحيح ، 8/ 129 كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابٌ: كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: 6632.

(3) مسلم بن الحجاج، 4/ 2032، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حديث رقم: 163.

إذا علمنا أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها ﷻ كيف يشاء، زاد هذا حاجتنا إلى الله ﷻ لأن يعصمنا من الزيغ والانحراف، ويثبتنا على الإيمان وحسن الختام، فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقَالَ: " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ ﷻ يُقَلِّبُهَا"[1]، وإن من أبرز علامات هذا الثبات، هو متابعة النبي محمد ﷺ، وقد كان ذلك واضحاً جليَّاً لدى الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين. يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: " إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا" [2]، بل إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ﷺ كان يقول: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، وَإِنِّي لَأَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ [3] وقد عقب ابن بطه رحمه الله تعالى على كلمة الصديق تلك فقال:"هَذَا يَا إِخْوَانِي الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ الزَّيْغَ إِنْ هُوَ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ زَمَانٍ أَضْحَى أَهْلُهُ يَسْتَهْزِئُونَ بِنَبِيِّهِمْ وَبِأَوَامِرِهِ، وَيَتَبَاهَوْنَ بِمُخَالَفَتِهِ، وَيَسْخَرُونَ بِسُنَّتِهِ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ عِصْمَةً مِنَ الزَّلَلِ وَنَجَاةً مِنْ سُوءِ الْعَمَلِ"[4].

المطلب الثاني: الوسائل المعينة على الإتباع

الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ كثيرة منها:

أولاً- تقوى الله ﷻ والخوف منه

التقوى في أبرز معانيها أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله ﷻ حاجزاً، إنها كما عرفها أمير المؤمنين علي ﷺ: "الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل

(1) مسند أحمد، 19/ 160، حديث رقم: 12107، قال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم

(2) أبو عبد الله البخاري، 8/ 68 كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّوْبَةِ، حديث رقم: 6308.

(3) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، توفي: 387هـ، الإبانة الكبرى تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، وآخرين، دار الراية – الرياض، 1/ 246.

(4) المصدر السابق.والصفحة نفسها.

والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل" [1]، فهي إذاً سفينة النجاة يوم القيامة التي تصل بصاحبها إلى بر الأمان وشاطئ السلامة فمن التزم بها أعانه الله ﷻ على بلوغ الغاية والهدف من خلال متابعة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الأنفال: 29)

ثانياً- الإخلاص لله تعالى، والتجرد في طلب الحق.

الإخلاص لله تعالى، والتجرد في طلب الحق أمران في غاية الأهميَّة لتنقية النفوس وتزكيتها من الأهواء والشوائب والبدع؛ لأن العبد كلَّما سعى في تنقية نفسه وتزكيتها وإلزامها بطاعة الله تعالى ازداد قبوله للحق، والإخلاص والتجرد خير معينان للعبد على الرجوع عن البدع والأخطاء متى وقع فيها، ولقد كان رسول الله ﷺ- كثيراً ما يفعل ذلك، فقد كان دعاؤه حين يفتتح الصلاة من الليل: "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[2]"

ثالثاً- اللجوء والتضرع إلى الله ﷻ وإظهار الافتقار والحاجة إليه.

إن خير مقام يقومه المؤمن في هذه الحياة الدنيا أن يهتم دوماً بما يربطه بالله ﷻ ويقوي صلته بما جاء به رسول الله ﷺ من عند ربّه ﷻ، كل ذلك من خلال اللجوء والتضرع إلى الله ﷻ وإظهار الافتقار والحاجة إليه ﷻ، هذا المقام في حقيقة أمره لن يتأتى لصاحبه إلا بمتابعة النبيّ ﷺ الذي كان يعلِّم أصحابه ضرورة الاستعانة بالله ﷻ في جميع الأمور، فعن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عنهما قَالَ:

(1) محمد بن يوسف الصالحي الشامي، توفي: 942هـ، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد/ تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ- 1993 م، ج:1، ص:421.

(2) محمد بن عيسى، سنن الترمذي/ 5/ 484، 485، كتابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ حديث رقم: 3420، قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ"[1]، معنى هذا الدعاء العظيم، عن رسول الله ﷺ وغيره كثير، ظاهر بيّن؛ لأن الالتجاء إنما يكون لله ﷻ، فهو جلَّ في علاه العظيم الحليم، وهو رب العرش العظيم وهو رب السموات والأرض، هو الذي بيده كل شيء، وهو الذي تنفذ مشيئته في كل شيء، وهو الذي تنتصر قدرته على كل شيء ﷻ، ولذلك ينبغي لنا أن نحرر هذا الأمر في واقع حياتنا، وهو صدق التجائنا إلى ربنا ، ولا يكون ذلك كاملاً، ولا يكون عظيماً، ولا يكون دائماً، إلا بمتابعة النبيّ ﷺ

رابعاً- تعلم الأحكام الشرعية، وفهم النصوص الصحيحة وتدبر معانيها:

لا يخفى على مسلمٍ أنَّ الإسلام دينٌ توقيفيٌّ مبني على ما أوحى به الله ﷻ إلى محمَّد ﷺ، وما أوحى به الله ﷻ إلى محمَّد ﷺ، لا يدرك إلا بالتعلم، وبالتالي، فلا وسيلة للعمل بأحكام الإسلام إلا بإتباع النبي ﷺ هذا ولا يتأتى الإتباع للنبيّ ﷺ إلا عن طريق تعلُّم الأحكام الشرعية، وفهم نصوصها وتدبر معانيها بالطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وصحابته، ومن جاء بعدهم ممن تبعهم بإحسان، حذو القذة بالقذة لذلك كان أول ما نزل من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق:1) ولقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله تعالى في جامعه الصحيح، باباً أسماه: " باب الْعِلْم قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ [2]، أراد به أنَّ العلم شرط في صحَّة القول والعمل لذا فإنه من الحريّ للحريص على إتباع النبي ﷺ أن يتعلَّم الأحكام الشرعية، ويفهم نصوصها، ويتدبر معانيها، ومن ثم العمل بموجبها فعلاً وتركاً.

خامساً- الصحبة الصالحة

الصحبة الصالحة من أعظم الأسباب المعينة على إتباع النبي ﷺ ؛ ذلك لأن الصاحب ساحب للمرء وقائد، أي إن كان صاحب خير يسحبه إلى الخير وإن كان صاحب شر يسحبه إلى شر، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ

(1) أبو عبد الله البخاري، 4/ 161، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، حديث رقم: 6345
(2) أبو عبد الله البخاري، كتاب العلم، باب الْعِلْم قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، 1/ 41.

مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ"[1]، وقال ﷺ: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[2]، فالخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه، فإن كان صاحب سنة و إتباع حمله على ذلك، وإن كان صاحب بدعة وفسوق حمله على ذلك، ولقد صدق الشاعر[3] إذ قال:

عن المـرء لا تسأل وسـل عن قرينـــه ... ففيـــه دليلٌ عنـــه بالطبـــع تهتـــدي

وإن تصطحب قوماً فصاحب خـــيارهم ... لتصبـــح في ثوب الكمالات مرتـــــدي

وجـــانب قريـــن السوء يا صـاح صحبةً ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الـــردي

لذلك استفاضت أقوال السلف ﷺ في الحث على صحبة أهل الإتباع والسنة وترك صحبة من سواهم. ومن أقوالهم في ذلك: قولُ الأوزاعي رحمه الله: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم"[4].

الفصل الثاني
ذمُّ الابتداع

الحديث عن البدعة والابتداع هو حديث عن قضية خطيرة جدُّ خطيرة، لما لها من آثار مهلكة، وتبعات مردية من أبرزها أنَّ صاحب البدعة مكذبٌ بلسان حاله بالقرآن، فضلاً عن طعنه في قيام النبي ﷺ بتبليغ الدين على الوجه الأكمل، بالإضافة إلى أن البدعة اجتهاد فيما يحسبه المبتدع طاعة، إذ كيف تكون طاعة وهي من عند غير الله تعالى؛ فهي اعتماد على الرأي، وإتباع للهوى، الذي حذّر

(1) محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 4/ 600، كتابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صُحْبَةِ الْمُؤْمِنِ حديث رقم: 2395، قال أبو عيسى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(2) المصدر السابق، 4/ 589، كتاب الزهد، بَابُ 45، حديث رقم: 2378، قال أبو عيسى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(3) عمر بن محمد البكري اليافي، أبو الوفاء، قطب الدين. شاعر، له علم بفقه الحنفية والحديث والأدب. أصله من دمياط، ومولده بيافا في فلسطين عام 1173هـ أقام مدة في غزة، وتوفي بدمشق1233 هـ.
انظر: عمر رضا كحالة، توفي: 1408هـ، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى- بيروت 318/7. وخير الدين الزركلي، توفي: 1396هـ، الأعلام/ دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر، أيار- مايو 2002م. 64/5

(4) عبد الرحمن السيوطي، ص: 71.

الله تعالى منه فقال جلَّ في علاه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (ص: 26)، ومن ثمَّ فإنَّ سعيه يوم القيامة مذموم وعمله هباءٌ منثور، قال تعالى :﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان:23)، وقبل الولوج في مباحث هذا الفصل نود التعريج على معنى الابتداع في اللغة والاصطلاح، لما لذلك من إسهامٍ في تجنُّب الوقوع في الخطأ.

الابتداع في اللغة.

قال ابن منظور : بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه أنشأه وبدأه ...البديع، والبدع : الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل العزيز : ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: 9 ، أي ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير وبدع: أَبْدَعَ الشَّيْءَ اخْتَرَعَهُ لَا عَلَى مِثَالٍ. وَاللَّهُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيْ (مُبْدِعُهُمَا)، قال ابن فارس:" الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا ابْتِدَاءُ الشَّيْءِ وَصُنْعُهُ لَا عَنْ مِثَالٍ، كقولهم: أَبْدَعْتُ الشَّيْءَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا: إِذَا ابْتَدَأْتُهُ لَا عَنْ سَابِقِ مِثَالٍ, وَاللَّهُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَالْآخَرُ الِانْقِطَاعُ والْكَلَالُ. أُبْدِعَتِ الرَّاحِلَةُ: إِذَا كَلَّتْ وَعَطِبَتْ، وَأُبْدِعَ بِالرَّجُلِ: إِذَا كَلَّتْ رِكَابُهُ أَوْ عَطِبَتْ وَبَقِيَ مُنْقَطِعًا بِهِ"[1]، قال الراغب :"الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ... والبديع يقال للمبدع نحو قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ البقرة: 117. والبدعة في المذهب إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها بصاحب الشريعة ﷺ ".

الابتداع في الاصطلاح:

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ, 1979م مادة بدع، 1/ 209 .زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح/ توفي: 666ه، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م. ص: 30.

اختلفت أقوال العلماء في تعريف البدعة، تبعاً لاختلاف فهمهم لماهية البدعة التي ورد النهي عنها, ثم إنَّ منهم من عرَّفها بجزئها ومنهم من حاول أن يضع لها تعريفاً جامعاً مانعاً, والذي سأورده هنا بعض التعريفات التي تدل على صحتها نصوص الكتاب الكريم والسنَّة المطهرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى :" الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ هِيَ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ وَلَا اسْتِحْبَابٍ" (1)، وقال ابن حجر رحمه الله تعالى:" مَا أُحْدِثَ وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ, يُسَمَّى فِي عُرْفِ الشَّرْعِ بِدْعَةً, وَمَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ" (2)، وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى:" وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ: مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ " (3)، أَمَّا الإمام الشاطبيُّ رحمه الله تعالى فقد عرَّفها بتعريفين(4): أمَّا الأوَّل فقال فيه:" طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ، يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ"، وأمَّا الثاني فقال فيه: الْبِدْعَةُ: "طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ، يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا مَا يُقْصَدُ بِالطَّرِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ".

الملاحظ في التعريف الأول، أنَّ الإمام الشاطبي رحمه الله لم يدخل العادات في معنى البدعة، وإنَّما خصها بالعبادات، في حين أدخل الأعمال العاديَّة في تعريفه الثاني للبدعة.

من خلال التعريفات السابقة يتبين أن ضوابط البدعة المحرمة هي :

1-أن تكون مخترعة, ليست على مثال سبق.

2-أن تكون في أمور الدين, سواء أكانت اعتقاداً أم قولاً أم فعلاً, أمَّا ما كان منها في أمور الدنيا كالأنظمة التعليمية، أو الصناعات المختلفة أو غير ذلك, فإنها لا تدخل في البدع الشرعية.

3-ألا يدل عليها أصل شرعي, بل تشبه الطريقة الشرعية في الظاهر، لكنها مضادة لها في الحقيقة .

---

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، 4 / 67.

2 فتح الباري، ج 13 / ص253.

(3) أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، (ت: 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم دار الفكر- بيروت، ص: 233.

(4) أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ص:50.

4-أن يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية, كالتقرب لله ﷻ بهذه البدعة.

بناء على ما تقدَّم يمكننا تعريف البدعة المحرمة، فنقول وبالله التوفيق: أمر مخترع في الدين من غير مثال سابق، اعتقاداً كان أو قولاً أو عملاً، يقصد منه ما يقصد بالطريقة الشرعية, من غير أن يكون له أصل شرعي يدل عليه.

المبحث الأول

حكم الابتداع وأسبابه

من المتفق عليه بين المسلمين أن القول إذا أريد له أن يكون حُجَّة، فإنَّه يجب أن يكون مستنداً إلى كتاب الله الكريم أو سنَّة النبيّ ﷺ المطهرة، أو ما يتفرع عنهما من مصادر الاستدلال, وما سوى ذلك من أقوال الأئمة والعلماء فإنَّه يؤخذ من كلام الواحد منهم ويرد، فليس ثمَّ ت معصومٍ في أمورِ الدِّين إلا النبيﷺ؛ لأن الله ﷻ أقام به الحجة على العباد.

المطلب الأول: حكم الابتداع واختلاف العلماء فيه.

انقسم العلماء حيال هذه المسألة إلى فريقين:

الأول: ذهب إلى أن البدع كلها مذمومة مخالفة للشريعة, لأنه لا أصل لها في السنَّة بل السنُّة تحرمها وتحذر منها وكان ممن ذهب هذا المذهب، الأئمَّة مالك، والبيهقي والطرطوشي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والزركشي، وابن رجب، والشُّمُنِي الحنفي وغيرهم[1].

الثاني: ذهب إلى أن البدعة بدعتان، إحداهما حسنة، وهي تلك التي توافق السنَّة والأخرى مذمومة, وهي تلك التي تخالفها، وكان ممن ذهب هذا المذهب، سلطان العلماء العز بن عبد السلام، والأئمَّة: ابن الجوزي، وأبو شامة المقدسي، والنووي، والعيني، وابن الأثير والقرافي، والحافظ ابن حجر، والسيوطي وغيرهم، وفيما يلي سرد بعض الأدلَّة التي استند إليها الفرقاء فيما افترقوا فيه.

أولاً- أدلة القائلين بأن البدع في الدين كلها مذمومة

استدل القائلون بهذا القول بالأدلَّة الآتية من كتاب الله الكريم، ومن سنة

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (توفي: 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة السابعة، 1419هـ-1999م، ص: 270-271 ، جامع العلوم والحكم ص 235.

النبيّ ﷺ المطهرة، وكذلك من أقوال الصحابة والتابعين, فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:3)، من هنا فإن أيَّة زيادة على الدين، توحي بأنَّ الدين ناقص وبأن محمداً ﷺ لم يبلغ الرسالة تبليغاً كاملاً [1]، وإذا كان الله ﷻ قد حذر محمَّداً ﷺ من التقول على الله ﷻ، في قوله عزَّ من قائل: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ الحاقة:(44- 46)، فمن باب أولى أن يطال التحذير غير محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ (الحاقة:47)، أمَّا من السنَّة، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: "صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ"، وَيَقُولُ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى" وَيَقُولُ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَ خَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ "[2].

إنَّ من المتعارف عليه في علم المنطق أنَّ لفظة: "كل" من أقوى الألفاظ التي تدل على الإحاطة الكليَّة شأنها في ذلك شأن الألفاظ:جميع، عامة، كافَّة،قاطبة،الأمر الذي يفيد العموم والشمول[3] وقول النبيّ ﷺ "كُل بِدْعَةٍ" كلية عامة شاملة مسورة بأقوى ألفاظ الشمول والعموم "كل" و النبي ﷺ وهو ينطق بهذه الكلمة إنَّما يقصد معناها ويعلم مدلولها، كيف لا وهو أفصح الخلق وأنصح الخلق للخلق، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه, إذاً فالنبي ﷺ حينما قال:" كُلّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلّ ضَلاَلَةٍ في النَّار" كان يدري ما يقول وكان يدري معنى ما يقول، وحمله على المعنى الخاص يحتاج إلى دليل, ولا دليل، والقول نفسه في الدليل

(1) محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي توفي: بعد 1352هـ)، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تصحيح: محمد خليل هراس، دار الفكر، ص:6

(2) سبق تخريجه، (ص: 12، هامش رقم 3)

(3) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة، 1414هـ- 1993م، ص: 72

الثاني الذي استخدم فيه النبيُّ ﷺ اسم الشرط: "مَنْ أَحْدَثَ" وهو من صيغ العموم, وحمله على التخصيص يحتاج إلى دليل, ولا دليل، من هنا فإنَّ الناظر في الأدلة التي استند إليها هذا الفريق من العلماء يجد أن أدلتهم غاية في الوضوح, قوية في الاستدلال .

ومن السنَّة أيضاً قَوْلُهُ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ" [1]، وفي رواية لمسلم بسنده عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" [2]، قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:" هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ كَالْمِيزَانِ لِلْأَعْمَالِ فِي ظَاهِرِهَا كَمَا أَنَّ حَدِيثَ:" الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ " مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ فِي بَاطِنِهَا، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى فَلَيْسَ لِعَامِلِهِ فِيهِ ثَوَابٌ، فَكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى عَامِلِهِ"[3].

وأمَّا الأدلَّة من الآثار المنقولة عن الصحابة والسلف في ذم البدع والتحذير منها فهي كثيرة كثيرة منها: قول ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: " كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ, وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً"[4]، ولقد أجاب الإمام الشاطبي لمَّا سئل: هل كل بدعة حسنت أو قبحت ضلالة؟ فأجاب رحمه الله تعالى: إن قول النبي ﷺ: "كل بدعة ضلالة" محمول عند العلماء على عمومه لا يستثنى منه شيء ألبت ة وليس فيها ما هو حسن أصلاً إذ لا حسن إلا ما حسنه الشرع ولا قبيح إلا ما قبحه الشرع، فالعقل لا يحسن ولا يقبح وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال.[5]

ثانياً- أدلة القائلين بأن البدع تنقسم إلى مذمومة ومحمودة:

استدل القائلون من العلماء بهذا القول بالأدلَّة الآتية :

---

(1)سبق تخريجه، ص:12، (هامش رقم:1)

(2) سبق تخريجه ص: 12،(هامش رقم: 2)

(3) جامع العلوم والحكم ، ص: 233.

(4) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، توفي: 458هـ، المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، ص: 180، حديث رقم: 191، والإبانة الكبرى، 1/ 339، حديث رقم: 205، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 1/ 104، حديث رقم:126.

(5) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، ت: 790هـ، فتاوى الإمام الشاطبي/ تحقيق: د. محمَّد أبو الأجفان، مطبعة الكواكب- تونس الطبعة الثانية: 1406هـ- 1985م، ص: 180-181.

عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ." [1]، قال النووي:" فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ ﷺ:" كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ", وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ, " [2]، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، ﷺ ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَه. [3]، قال ابن حجر- في شرحه للحديث:" الْبِدْعَةُ أَصْلُهَا مَا أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ وَتُطْلَقُ فِي الشَّرْعِ فِي مُقَابِلِ السُّنَّةِ فَتَكُونُ مَذْمُومَةً وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَحْسِنٍ فِي الشَّرْعِ فَهِيَ حَسَنَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَقْبَحٍ فِي الشَّرْعِ فَهِيَ مُسْتَقْبَحَةٌ وَإِلَّا فَهِيَ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ وَقَدْ تَنْقَسِمُ إِلَى الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ"[4].

فهذان دليلان قويَّان إلى جانب أدلّة أخرى، احتج به ا من يقول: إن البدع تارة تكون محمودة وأخرى مذمومة، وبالنظر في أدلة الفريقين يمكن أن نستنتج الآتي:

قول النبيﷺ :"من سن في الإسلام سنة حسنة", والسنة تختلف عن البدعة؛

(1) مسلم بن الحجاج ، 4/ 2059، 2060 كتاب الْعِلْمِ، بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً...حديث رقم: 15.
(2) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، توفي: 676ه، صحيح مسلم بشرح النووي/ المطبعة المصريَّة بالأزهر الطبعة الأولى: 1347هـ- 1929م، 7 / 104.
(3) أبو عبد الله البخاري ، 2/ 60، كتاب صلاة التراويح، باب فَضْلِ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، حديث رقم: 2010.
(4) أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري (ج4 / 253).

لأن السنة هي الطريقة المتبعة, سواء أكانت مذمومة أم كانت محمودة, ولا تكون محمودة إلا إذا كانت مبنية على أصل شرعي أما البدعة فهي أمر مخترع والنبي ﷺ لم يذكر البدعة إلا في مقام الذم بخلاف السنة التي ذكرها النبي ﷺ في الذم والمدح, ومن ثم فإن السنة تختلف عن البدعة, وسبب ورود الحديث يدل على هذا المعنى, فإن النبي ﷺ لمَّا دعا إلى الصدقة جاء رجل من الأنصار بِصُرَّة كادت كفُّه تعجز عن حملها ثم تتابع الناس بعد ذلك, فأنت ترى أنه لم يبتدع شيئا جديدا, وإنما فعل ما أمر به الشرع, فلما تتابع الناس بعده, صار كمن سن في الإسلام سنة حسنة, والله أعلم[1]، وبهذا التفصيل يظهر أن قول النووي رحمه الله:" فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ ﷺ:" كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ", قول فيه نظر, إذ كيف يتم تخصيص شيء بآخر مختلف عنه في اللغة والشرع، ثم إن هذا الصحابي الذي فعل ذلك, تتابع الناس وراءه, فكأنه أحيا سنة حسنة في الإسلام وأيقظها.

أمَّا صلاة قيام الليل واجتماع الناس عليها, ثبتت من سنة النبي ﷺ الفعلية, لكنه لما خشي أن تفرض على الناس لم يخرج إليهم فيما بعد, وفي عهد عمر ﷺ جمع عمر الناس على إمام واحد, والواضح أن عمر ﷺ لم يخترع شيئاً جديداً, بل فعل ما ثبت فعله من النبي ﷺ, بالصورة نفسها , وهذا لا يسمى بدعة في اصطلاح الشرع؛ لثبوته من سنة النبي ﷺ, فعلم أنه من باب التجوز في استخدام اللغة, قال الشاطبي:" فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ سَمَّاهَا عُمَرُ ﷺ بِدْعَةً وَحَسَّنَهَا بِقَوْلِهِ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَإِذَا ثَبَتَتْ بِدْعَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ فِي الشَّرْعِ; ثَبَتَ مُطْلَقُ الِاسْتِحْسَانِ فِي الْبِدَعِ، فَالْجَوَابُ: إِنَّمَا سَمَّاهَا بِدْعَةً بِاعْتِبَارِ ظَاهِرِ الْحَالِ; مِنْ حَيْثُ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاتَّفَقَ أَنْ لَمْ تَقَعْ فِي زَمَانِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، لَا أَنَّهَا بِدْعَةٌ فِي الْمَعْنَى، فَمَنْ سَمَّاهَا بِدْعَةً بِهَذَا الِاعْتِبَارِ; فَلَا مُشَاحَةَ فِي الْأَسَامِي، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى جَوَازِ الِابْتِدَاعِ بِالْمَعْنَى الْمُتَكَلَّمِ فِيهِ; لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ"[2]،فَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: " إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(1) انظر: ابن حمزة الحسيني، توفي:1054ه، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، المكتبة العلميَّة – بيروت، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م، ج: 3/ 219.

(2)الاعتصام، ص: 250.

لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ; خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ" [1]، قال شيخ الإسلام:" أما القول إن شر الأمور محدثاتها، وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، والتحذير من الأمور المحدثات, فهذا نص رسول الله ﷺ، فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع، ومن نازع في دلالته فهو مراغم"[2].

حسم الاختلاف في تعريف البدعة:

بعد إجالة النظر في أقوال العلماء واستعراض أدلتهم التي اعتمدوا عليها فإنَّ الباحث يرجح حصر البدعة في باب العبادات، وأما الأمور العادية والدنيوية فالمحدث منها لا يسمى بدعة شرعاً وإن سمي بها لغة فلا تعد المحدثات الجديدة بدعاً في الدين مثل الطائرات ووسائل الاتصالات ومكبرات الصوت إلخ وكذلك ما يعد من الوسائل كتعلم العلوم المختلفة كعلم النحو وكذا طبع المصحف وحفظه بوسائل الحفظ الحديثة كالأشرطة المسجلة والحاسوب ونحوها فهذه الوسائل لها أحكام الغايات والمقاصد فإذا كانت الغايات مشروعة كانت وسائلها المؤدية إليها مشروعة وليست من البدع في شيء. والله تعالى أعلى وأعلم

المطلب الثاني: أسباب الابتداع

إنَّ أعظمَ نعمة أنعمها الله تعالى على عباده هي نعمة الإسلام، الذي فرَّق فيه للنَّاس بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام، وبين الخيرِ والشرّ، وبين سبيلِ الهدى و سبيلِ الرّدَى، قال الله تعالى :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (الأنعام: 122)، كما أنَّ أعظم مصيبة قد تلم بالإنسان إذا لم يعمل على درئها عن نفسه، هي المصيبة في الدين، كيف لا وقد سأل النبيُّ ﷺ ربَّه ﷻ ألا يجعل مصيبته في دينه، " وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا" [3]، ولكي يبقى الناس يستبينون سبيل الهدى والرشاد، لا بد وأن يعرفوا المداخل التي

(1) أبو عبد الله البخاري ،1/ 351، كتاب التهجد، بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ، حديث رقم: 1128.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم، 586/2.

(3) محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ، قال أبو عيسى: هذا حديث حَسَنٌ غَرِيبٌ رقم:3502، ج: 5/ 528.

يتسرب منها الخلل إلى دينهم وإلى عقيدتهم فيسدُّونها، ويحكمون سدَّها، وإنَّ أعظم ما يهدم الدين في نفوس أصحابه هو تسرب البدع الضالة المضلَّة، فتضلهم بعد أن كانوا على الهدى هذا وترجع أسباب الابتداع إلى الأسباب التالية:

أولاً- الجهل بحقيقة الإسلام:

ما من شكٍ في أن الجهل بهذا الدين هو من أعظم أسباب الابتداع والضلالات التي حدثت في الأمة فهو آفة خطيرة، وداء عظيم، ذلك لأنَّه يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى ويوقع في البدع المتعددة، وهو سبب الضلال وطريق العذاب والنكال وهو الذي أخَّر المسلمين بعد أن كانوا قادة الركب الإنساني إلى كلِّ تقدمٍ صحيحٍ فكريٍّ وتطبيقيٍّ، كان سلوك المسلمين الأوائل الملتزمين بالإسلام قولاً وعملاً، عاملاً من عوامل نشر الإسلام في ربوع فسيحة من الأرض، واليوم.. نجد سلوك الكثيرين ممن ينتسبون إلى الإسلام من أكبر عوامل الصد عنه بسبب ما هم عليه من جهل وتخلف في دينهم وفي دنياهم، سواء على صعيد التصور أم على صعيد السلوك، الأمر الذي يعتبر من أشد العوامل التي تصد الناس وتصرفهم عن الإسلام وتفتح الباب على مصراعيه لتسرب البدع الباطلة -المموهة بزخارف كاذبات، تخدع الناظرين وتفتن الجاهلين.

ثانياً- ضعف القدوات لدى العلماء والقادة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[1].

هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أنهم يموتون فيتخذ الناس رؤوساً جهَّالاً يفتون بجهالاتهم فَيَضِلون وَيُضِلون[2]، وفيه الحث على حفظ العلم الإسلاميّ، والتحذير من ترييس الجهلة، وأنَّ العلم بالرسالة الإسلاميَّة هو الرياسة الحقيقيَّة، وذمّ من يقدَّم عليها بغير

(1) أبو عبد الله البخاري،50/1، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: 100، وصحيح مسلم، 4/ 2058، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، حديث رقم:2673.

(2) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 16/ 224.

علم[1]، وصدق الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وهو يحذر من هؤلاء الأغرار فيقول: " ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسقٍ بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله".[2]

في السابق كان العلماء والقادة هم القدوة التي يقتدى بهم، إلا أن هذا الجانب وللأسف قد ضعف في هذا الزمان، فلم يعد كثير من العلماء أهلاً لأن يقتدى بهم، وما ذلك إلا لفقدهم مقومات القدوة الصالحة، من هنا فإنَّ الناس إذا بحثوا عن القدوة فلم يجدوها فإنهم سيقتدون بالجهلة المنحرفين.

ثالثاً- التقليد الأعمى الذي ابتليت به الأمة الإسلامية [3]

يتمثل ذلك في انبهار الأمة الإسلامية القاتل بالأمم الأخرى والاستمداد غير الواعي من نظمها، الأمر الذي أصابها في مقتل حيث انحرفت قطاعات كبيرة من الأمة عن مفاهيمها التي كانت تستمدها من دين ربها ﷻ، وكان من أهم ما أدى إلى هذا الانحراف، هو الانحراف عن فهم الإسلام نفسه عقيدة وسلوكاً ومنهاج حياة وانحسار هذا الفهم في معان ضيقة ومدلولات محدودة مما أدى إلى تخلف الأمة تخلفاً حضاريًّاً ومادّياً وسلوكيًّاً ظهرت آثاره في كافه مناحي الحياة.

رابعاً- الإعراض عن سبيل المؤمنين والاعتماد على الرأي والهوى في التعامل مع الأدلة الشرعية

قال تعالى :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾(النساء: 115)، إنَّ من أبرز أسباب الابتداع في الدين هو الإعراض عن سبيل المؤمنين، سبيل أهل الحق،

(1) انظر: أبو عبد الله البخاري، 1 /53، الهامش رقم:1

(2) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت، 422/3،.

(3) التقليد: عبارة عن إتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول غيره أو فعله قلادة في عنقه وعبارة عن قبول قول غيره بلا حجة ولا دليل، علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى : 1405هـ، ص: 90 وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص: 199-

أهل السنة والجماعة، الذي يمثله العلماء الربانيُّون، الراسخون في العلم في كل عصر من العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والهوى هو ميل القلب والنفس إلى الشهوات والملذات العاجلة وإرادة تحصيل أكبر قدر منها، وهذا أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (القصص: 50)، وهذا – للأسف- ما وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، فيكون الواحد منهم له هوى وتوجه ومزاج في قضية معينة، فيدفعه ذلك إلى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه ثم يأخذ في تلمس الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به، فيخضع الدليل لرأيه ولا يخضع هو للدليل، ولا يكون الحق رائده، وإنما رائده أن ينتصر لما يراه هو، وهذا في الواقع يجعل الهوى أصلاً تحمل الأدلة عليه ويحكم به عليها، والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح العقائد ويقتل كل خير، والابتداع به أشد أنواع الابتداع إثماً عند الله، وأعظم جُرماً على الحق، فكم حرّف الهوى من شرائع، وكم بدل من ديانات، وأوقع الإنسان في ضلال مبين، والحق أن كل من رفض اتباع شرع الله بأي شكل من أشكال الرفض فهو متبع لهواه بلا شك .

المبحث الثاني
أقسام الابتداع

المطلب الأول: البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية.

هذا المطلب من أهم المطالب وأنفسها؛ لأن كثيراً ممن يقعون في البدع يظنون أنهم مستندون في بدعتهم إلى الكتاب والسنة, وسبب ذلك هو عدم التفريق بين البدعة الحقيقية التي يسهل التعرف عليها, وبين البدع الإضافية التي تشكل على كثير من الناس, فالبدعة الحقيقية ليس لها وجه في الكتاب ولا في السنة لا في الإجمال ولا في التفصيل, بخلاف البدعة الإضافية التي لها وجه في نصوص الاستدلال, إلا أنها تخالف من وجه آخر يجعلها من البدع المذمومة.

أ- البدعة الحقيقية.

عرفها الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - فقال:"هِيَ الَّتِي لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ؛ لَا مِنْ كِتَابٍ، وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا إِجْمَاعٍ، وَلَا قِيَاسٍ، وَلَا اسْتِدْلَالٍ مُعْتَبَرٍ

عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لَا فِي الْجُمْلَةِ وَلَا فِي التَّفْصِيلِ" [1]، وعليه فإن البدعة الحقيقية تعتبر خارجة عن الشرع كليّاً, لا تلتقي معه بوجه من الوجوه, وإن كان المبتدع لها يزعم أنه يستند فيها إلى الأدلة الشرعية, فاستدلاله لا يزيد عن كونه شُبْهة لا تصلح أن تكون دليلا على بدعته عند التحقيق، ومن هذا النوع من البدع:

- ما يفعله بعض جهلة المسلمين من التقرب إلى الله ﷻ بالطواف حول قبور الصالحين.
- ومنها ترك الزواج تقربا إلى الله تعالى, مع قيام الحاجة إليه وعدم وجود المانع الشرعي.

ب- البدعة الإضافية

قال الشاطبي – رحمه الله -:"هِيَ الَّتِي لَهَا شَائِبَتَانِ:إِحْدَاهُمَا: لَهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ مُتَعَلِّقٌ، فَلَا تَكُونُ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ بِدْعَةً، وَالْأُخْرَى: لَيْسَ لَهَا مُتَعَلِّقٌ إِلَّا مِثْلَ مَا لِلْبِدْعَةِ الْحَقِيقِيَّةِ"، أَيْ أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ سُنَّة لِأَنَّهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى دَلِيلٍ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجِهَةِ الأُخرى بِدْعَةٌ لِأَنَّهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى شُبْهَةٍ لَا إِلَى دَلِيلٍ، أَوْ غَيْرِ مُسْتَنِدَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى: أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْأَصْلِ قَائِمٌ، وَمِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّاتِ أَوِ الْأَحْوَالِ أَوِ التَّفَاصِيلِ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا، مَعَ أَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ وُقُوعُهَا فِي التَّعَبُّدِيَّاتِ لَا فِي الْعَادِيَّاتِ الْمَحْضَةِ" [2]. هذا وتعدُّ البدعة الإضافيَّة الأكثر انتشاراً بالمقارنة مع أقسام البدع الأخرى؛ والسبب في ذلك خفاؤها على معظم الناس, فهي مستحسنة لكونها لها أصل في الدين، يظهر من هذا الكلام أن البدعة الإضافية: طريقة لها أصل شرعي أضيف إليها من جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل ما لم يقم عليه دليل شرعي، فهي موافقة للسنة في الأصل العام مخالفة له في التخصيص الذي يحدثه المبتدع بمجرد الرأي والهوى، ومن هذا النوع من البدع:

- الأذان للعيدين ولصلاة الكسوف فالأذان في أصله مشروع ولكن الأذان للعيدين والكسوف لم يثبت عن الرسول ﷺ .

(1) الاعتصام ، ص:367.
(2) المصدر السابق، ص: 368.

● تخصيص زمن معين بنوع من العبادات, كقيام, أو صيام, أو صدقة, كتخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام, وتخصيص أول رجب بصيام.

المطلب الثاني: البدع المتعلقة بالفعل والبدع المتعلقة بالترك.

أ- البدع المتعلقة بالفعل:

البدعة الفعلية هي التي تكون بفعل غير المشروع بنية التقرب به لله ﷻ، وهي التي يكثر وقوع الناس فيها, إذ إن أغلب البدع تكون بالقيام بأفعال غير مشروعة سواء أكانت مباحة أم مكروهة أو محرمة في أصلها, وهي كثيرة جداً، فإذا فعل الإنسان المسلم ما لم يفعله النبي ﷺ مع وجود الداعي لذلك، فقد ابتدع, وأمثلة ذلك: الجهر بالنية في الصلاة، والاستغاثة بغير الله, والاجتماع على عبادة معينة في أول رجب، أو في ليلة النصف من شعبان.

ب- البدع المتعلقة بالترك:

وهي التي تكون بترك فعل المأمور به شرعاً, أو المباح, تقرباً لله تعالى، فإذا ترك المسلم ما شرعه الله لنا مخالفاً في ذلك للنبي ﷺ, يتقرب بذلك إلى الله, فقد ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، مثاله ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:" يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ وَأَخَذَتْنِي شَهْوَتِي، فَحَرَّمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ", [1] فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ (المائدة: 87، 88) وعن أَنَس ﷺ قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ:" أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ

(1) محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 255/5، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ حديث رقم: رقم 3054.

وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" [1].

فانظر إلى الثلاثة لما تركوا ما أباح الله لهم, اعتبرهم النبيُّ ﷺ راغبين عن سنَّته.

المطلب الثالث: البدع المتعلقة بالعقائد والأحكام

أ- البدع المتعلقة بالعقائد:

وهي البدع التي تتعلق بمسائل الاعتقاد, كتكفير صاحب الكبيرة, ونفي القدر, وحصر الإيمان في القلب وغير ذلك، قال شيخ الإسلام:" فالبدع الخبرية كالبدع المتعلقة بأسماء الله تعالى وصفاته والنبيين واليوم الآخر لا بد أن يخبروا فيها بخلاف ما أخبر الله تعالى به" [2]، وهي:" المحدثات التي تقع في المسائل العلمية الخبرية, وهي المسائل التي اصطلح على تسميتها قديماً وحديثاً باسم العقيدة, وهي تشمل أركان الإيمان الستة وتدور حول ثلاث قضايا:

الأولى: ما يتعلق بذات الله-سبحانه وتعالى- من حيث ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

الثانية: ما يتعلق بذوات الرسل الكرام, من حيث ما يتصفون به وما يتنزهون عنه, وما يجب عليهم وما يجب لهم وما يمتنع عنهم, ويلحق بذلك الكتب المنزلة.

الثالثة: الغيبيات: وتشمل الملائكة, والجن, والموت وما وراءه والقضاء والقدر.

ب- البدع المتعلقة بالأحكام.

وهي البدع المتعلقة بأفعال المكلفين, كالبدع في الصلاة, والزكاة, والحج, والصيام, وغير ذلك من بدع الأحكام، قال شيخ الإسلام :" البدع الأمرية، كمعصية الرسول المبعوث إليهم ونحو ذلك، لا بد أن يأمروا فيها بخلاف ما أمر الله به"[3].

المطلب الرابع: البدع المفسقة والمكفرة:

تتفاوت البدع في أحكامها، فمنها:

---

(1) أبو عبد الله البخاري، 3/ 354، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ حديث رقم:5063.

(2) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل – تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الثانية، 1411هـ- 1991م، 1 / 220.

(3) درء تعارض العقل والنقل، 1 / 220.

أ- البدعة المفسقة:

وهي التي لا يكون فيها تكذيب بالكتاب أو بشيء مما أُرسل به الرسل, ولا يكون فيها إنكار معلوم من الدين بالضرورة [1], كبدعة الشيعة الأوائل الذين يفضّلون عليّاً على سائر الصحابة دون أن يكفروا أحداً منهم, وبدعة رد أحاديث الآحاد الصحيحة في مجال الاعتقاد.

ب- البدعة المكفرة:

ومنها البدعة المكفرة التي تخرج صاحبها من الملَّة, كمن ينكر أمراً مجمعاً عليه متواتراً، معلوماً من الدين بالضرورة لما في ذلك من تكذيب بالكتاب وبالسنَّة[2]، كَبِدْعَةِ الْجَهْمِيَّةِ فِي إِنْكَارِ صفات الله ﷻ وَالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَكَبِدْعَةِ الْقَدَرِيَّةِ فِي إِنْكَارِ عِلْمِ اللَّهِ ﷻ وَأَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَكَبِدْعَةِ الْمُجَسِّمَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبدع.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا أحصي ثناءً عليه، هو سبحانه كما أثنى على نفسه، أن وفقني لهذا الجهد، جهد المقلّ، فما كان فيه من خير أو صواب فهو من الله ﷻ وحده،

(1) انظر: حافظ ابن أحمد الحكمي معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق / عمر أبو عمر، دار ابن القيم -الدمام ، الطبعة الأولى، 3/ 1229

(2) معارج القبول – 3/ 1228

وإنّي لأرجو الله ﷻ أن يتقبّله، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة, إنه سبحانه سميع مجيب، وأمَّا ما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن الشيطان ومن نفسي، وأسأله سبحانه المغفرة وحسن الختام، وبعد ، فقد اشتملت خاتمة هذا البحث على أهم النتائج والتوصيات التالية.

أولاً- أهم النتائج:

1 - إنّ دين الله أكملُ من أن يفتقر إلى إضافة شيء له، فلقد أتمّ الله نعمته على عباده وأكمل لهم دينهم.

2 - إن إقرار أيَّة إضافات صنعها الناس من عند أنفسهم يعني إعطاءهم حق التشريع في العقائد والعبادات وهذا حق انفرد به الله رب العالمين.

3 - البدعة هي ما كانت في أصول الدين، أما ما كانت في شؤون الدنيا فهي مطلوبة يحض الإسلام عليها

4 - متابعة الرسول ﷺ أصل ثابت لا يطرأ عليه تغير تحت أيِّ ظرف من الظروف، في أيِّ زمان أو مكان

5 - إنَّ من ينصرف عن متابعة الرسول ﷺ إلى متابعة غيره لم يعرف حقيقتهﷺ، ولم يقدره قدره.

6 - الابتداع في الدين هو السبب الرئيس في تفريق كلمة المسلمين, وتفتيت وحدتهم، وفساد كثير من معتقداتهم ، كمعتقدات الخوارج, والمعتزلة, والرافضة, والمرجئة, وغيرهم.

7- تقديم محبة الرسول ﷺ على النفس والمال والأهل شرط أساس في الإيمان لذا نفى ﷺ الإيمان عن من لم يقدم محبته ﷺ على محبته لنفسه وماله

والناس أجمعين.

ثانياً- التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1- وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة, إذ هما سفينة نجاة المسلمين في دنياهم, وفي أخراهم.

2- ضرورة الاهتمام بمسألة البدعة على كافة نواحي الأطر الأكاديمية بالدراسات والأبحاث, والأطر العلمية كالخطب والدروس؛ باعتبارها تفسد على المسلمين عقيدتهم، وتفتت وحدتهم.

3- التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي توافق الكتاب والسنة, باعتبار أنها هي المقبولة والابتعاد عن البدع والأهواء لأنها السبب في الخسران في الدنيا والآخرة.

4- الالتزام بمتابعة النبيّ ﷺ، إذ هو السبب في الهداية والفلاح، والعصمة من الضلال والشقاء.

5-عدم معارضة الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربّه ﷻ من خلال الابتداع، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: 63).